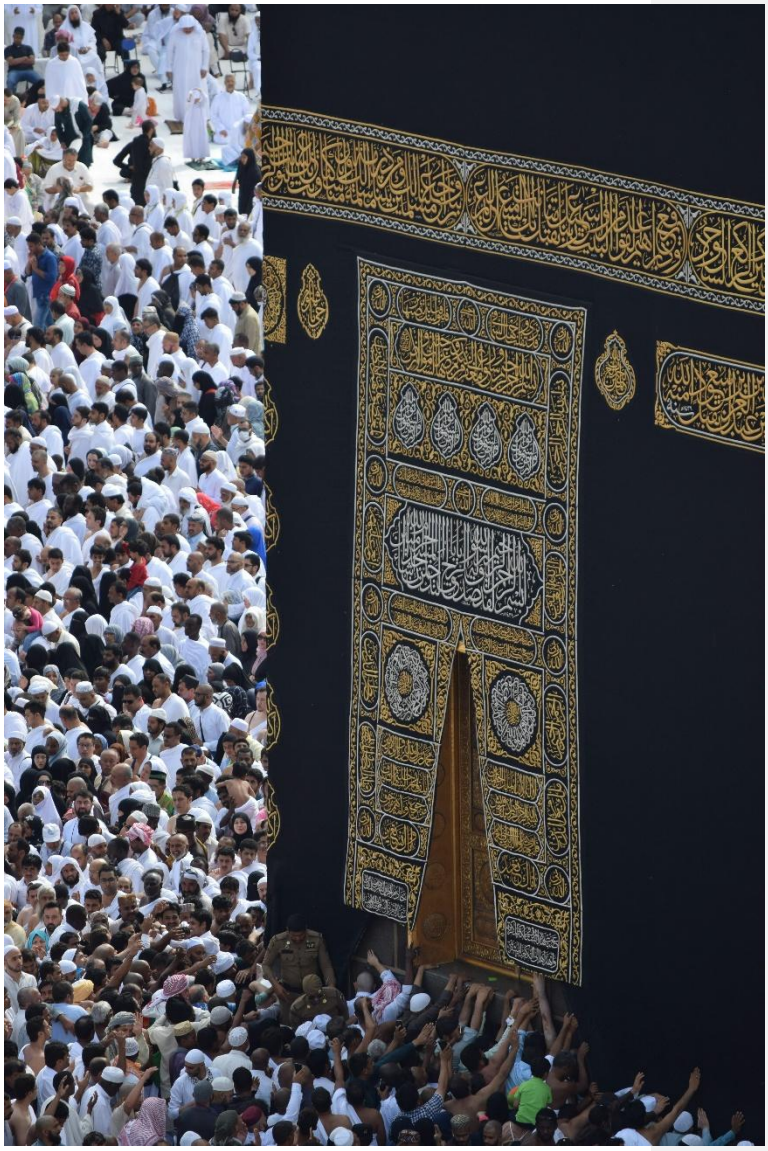

تفريغ محاضرة

إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٥/١٢/٤ هـ

"إنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي سَيَهْدِينِ"

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد استقبلنا ليلة الخامس من ذي الحجة بهذه التكبيرات وإن هذه الأيام العشرة الأواخر لأعظم أيام الدنيا على الإطلاق.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** "**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**" يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلّا رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه، فلم يرجِع من ذلك بشيء"[1] **وفي رواية أخرى: "أزكى عند الله عز وجل ولا أعظم"**[2].

وقال رسول الله ﷺ: "فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ"[3]، فالتكبير والتحميد والتهليل والتسبيح واجبٌ في هذه الأيام العشرة وعلينا تكثيف الطاعات وإن لم نستطع ندعو بدعاء سيد الخلق عليه الصلاة والسلام: **"ربّي اشرحْ لي صدري ويسِّر لي أمري، "اللهمَّ أعنِّي على ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتِك"**[4].

فإن أردت السير إلى الله وضللت الطريق تذكر أولَ من قال: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الصافات: ٩٩]، فأصبحت فيما بعد آيةً من آي القرآن الكريم. فإبراهيم عليه السلام أول من نطق بهذه العبارة وذلك بعد أن أراد به قومُه كيدًا فجعلهم الله الأسفلين وهداه وهدى به وجعل الهداية مرتبطةً به وجعله صاحب الهداية وصاحب الملة فكان حنيفا مسلمًا؛ لرجائه الهداية من الله وحده، وقال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت: ٦٩].

فكلُّ طريق تفِد فيه إلى الله ونيتُك فيه اللهُ عز وجل سيعينُك الله عز وجل عليه.

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[2] أخرجه الدّارمي، وحسّنه الألباني.

[3] أخرجه أحمد في مسنده،وقال نحقّق الكتاب: حديثٌ صحيح.

[4] أخرجه شعيب الأرناؤوط في زاد المعاد،وهو حديثٌ صحيح.

وكان إبراهيم عليه السلام فتًى صغيرًا نشأ في قوم وثنيين يعبدون الأصنام نهارًا ويعبدون الكواكب ليلًا فلما أراد قومُه أن يذهبوا في عيدهم إلى معبدهم لم يذهب معهم وتعذّرَ بأنه مريض. قال تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]. فلما خرجوا ذهب إلى أصنامهم وأخذ يسألها لماذا لا تأكلين لماذا لا تنطقين؟ ولا تجيب سؤاله وكان معه فأسٌ فجاء أصغرَها فضربَه ثم أخذ يكسرُها واحدًا تلو الآخر إلى أن جاء أكبرَها فضربَه وثبّتَ الفأسَ به.

فلمّا رأوا ما حلَّ بأصنامهم أخذوا يسألون من فعل هذا بآلهتهم؟ فقيل لهم: سمعنا فتًى يذكرهم يقال له إبراهيم وكان أبوه آزرُ من كبارِ قومِه فاتفقوا أن يسوموه عذابًا شديدًا وقرروا حرقَه حيًّا ليكون عبرةً لمن يعتبر وقيل استمروا بإشعال النار شهرًا لا تنطفئ، ثم أرادوا أن يجعلوا إبراهيمَ عليه السلام في هذه النار، وبالفعل جاء ذلك اليوم الموعود، وجيء بإبراهيمَ مقيّدًا بالسلاسل موضوعًا في منجنيق ليُرمى به في النار؛ ذلك لأنهم لا يستطيعون الاقتراب منها؛ لشدة حرارتها، فضجت الملائكةُ إلى ربها لِما وقع بإبراهيم عليه السلام وهو أعلم، والملائكة تعرف عبادَ الله الصالحين، فلما ابتلع الحوتُ نبيَّ الله يونسَ عليه السلام قالت الملائكة: **"يا رب عبد معروف، وصوت معروف من مكان غير معروف"**، فضجَّت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق لإبراهيم عليه السلام، فجاءه جبريلُ عليه السلام ، فقال: ألكَ حاجةٌ؟ فقال من عرف قلبُه اللهَ عز وجل الجبار القادر. وقد كُشف له ملكوت السماوات والأرض: **"أمّا إليكَ فلا" فقال جبريل: فاسأل ربك. فقال: "حسبي من سؤالي علمُه بحالي"، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "حسبنا الله ونعمَ الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقيَ في النار..."**[٥]. فجاء الأمر السماوي لهذه النار بأن تكونَ بردًا وسلامًا عليه فإذا بالنار تتغير خواصها فلا تحرقه. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩].

وقال سلامًا حتى لا يؤذيه بردُها، وأنبت الله عز وجل له شجرةً وسط النار، وآتاه من ثمرها، وفُجّرت له عينٌ من ماءٍ باردٍ يشرب منها، وقومُه من وراء النار، ينظرون إليه يحترق داخلها فكانت أول كلمة قالها حينما خرج من النار. وعرف أن لا حيلة في قومه، إني ذاهب إلى ربي سيهدين، فكان عليه السلام أول مهاجر يهاجر في سبيل الله، فهاجر إلى أرض الشام ولم تعرف البشرية قبله رجلًا يتركُ أرضَه وبلدَه في سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[العنكبوت: ٢٦].

فجاءه العونُ من لوط عليه السلام الذي آمن معه، أنت حينما تذهب إلى الله عز وجل سيهديك اللهُ عز وجل ويمدُّك بالنصرة، فموسى كان يمشي ووجد ذلك العبد -وهو الخضر عليه السلام- قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥]

فكُشِف الحجاب لإبراهيم وملأَ النورُ قلبه، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[الأنعام: ٧٥]

فما عليك إلا أن تتّجه إلى الله بلا خوف أو تردد، وبنيةٍ صادقة وسيهديك ويشرحُ صدرك وييسرُ أمرك.

---

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه.

وإن هداية الله لموسى كهدايتِه لإبراهيمَ عليه السلام حين طلبها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

وقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾[هود: ٤٣]

ثم تبدأ قصتُه مع هاجر رضي الله عنها في مكة؛ في أرضٍ قاحلة مَحْلةٍ غيرِ ذات زرع، فيأتي الأمر الإلهي بأن يهاجر إبراهيمُ إلى تلك الأرض، ويترك فيها هاجرَ وابنَه الوحيد الذي رزق به على الكِبَرِ وهنا يبدأ الابتلاء الثاني، وكان إسماعيلُ في تلك اللحظة رضيعًا، فالتفتت هاجر عليها السلام يمنةً ويسرةً وأمامها وخلفها، فلم تجد أحدا، فقالت يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ فسألت وأجابت: آللّه أمرك بهذا؟ إذا لن يضيعَنا، وعُرفت شعيرة السعي بين الصفا والمروة لما سعت هاجر عليها السلام، وهي تبحث عن الماء لصغيرها، فعندما تسعى بين الصفا والمروة، تذكّرْ أقدام هاجر الحافية، وهي تمر على هذه الجبال. وتذهب إلى ذلك السراب ظنًّا منها أنه ماء، وتبقى كذلك حتى تبلغ سبعةَ أشواط، إلى أن تفجرت زمزم، فيأتيها الغيث من الله عز وجل.

ثم يأتي البلاء الثالث لإبراهيم عليه السلام. وذلك لما بلغ إسماعيل عليه السلام معه السعي فلما أذن الله تعالى عاد إبراهيم عليه السلام إلى الشام وكله شوق لابنه وزوجته. فوجد قبيلة جرهم مع هاجر، وقد بلغ إبراهيم الخامسة من عمره فدخل المدينة، وعرف ابنه بريحه؛ فأخذه فضمه ثم نام في تلك الليلة ليلة الثامن من ذي الحجة فرأى رؤيا: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[الصافات: ١٠٢].

فأراد الله أن يمتحن إبراهيم بحبه لابنه الوحيد الذي رزقه على الكبر والضَّعْف وهو في الثمانين من عمره حينما حصلت الحادثة فلما قص عليه الرؤيا قال له هذا الغلام المعلم قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات ١٠٢].

فلما جاء أول أيام عيد الأضحى يوم النحر أخذ ابنه إسماعيل إلى مكان بعيد، -حتى لا تراه أمه- عند الجمرة الكبرى وجعل وجهه للأسفل ومرر السكين على رقبته فإذا بالشيطان يأتيه ويتمثل له ليثنيه عن أمر الله عز وجل ويقول له: يا ابراهيم قف، فينظر له إبراهيم، فيقول له: علام تقتل ابنك؟ فيأخذ ابراهيم الحصيات السبع فيرمي بها الشيطان، ويغير مكانه ويذهب إلى مكان الجمرة الصغرى؛ ويأخذ إسماعيل عليه السلام ويلقيه على بطنه، فيأتيه الشيطان مرة أخرى، فيقول: يا إبراهيم قف علام تقتل ابنك؟ فيأخذ إبراهيم الحصيات السبع فيرمها عليه؛ والأمر ذاته عند الجمرة الوسطى؛ حتى يأخذ برقبة اسماعيل فيمرر السكين فإذا السكين لا تقطع؛ فيأتيه النداء من السماء: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[الصافات: ١٠٤-١٠٥].

ويفديه الله عز وجل بذبح عظيم كبشٍ جاءت به الملائكة بهذا الكبش، ولذلك في منطقة الجمرات يوجد منطقة اسمها: "مجر الكبش" وهي المنطقة التي كانت تجر فيها الملائكة الكبش الذي فدي فيه اسماعيل عليه السلام فإذا أردت الحج وأتيت ترمي رمي هذه الجمرات تذكّرْ إبراهيم، وانظر إليه مع ابنه الصغير يريد أن ينحره طاعةً لله عز وجل. قال الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١].

فجعل بعدها الله رمي الجمرات من شعائر الحج، ولك بكل جمرة ترميها تكفير كبيرة من الموبقات.

ثم بشَّرَ الله عز وجل إبراهيم بإسحاق ، ومن بعده يعقوب ، وبعد يعقوب اثنا عشر ولدًا؛ منهم يوسف، وهؤلاء هم الأسباط، وأما إسماعيل فتكون ذريتَه أمةٌ كبيرة، وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فنحن من نسل إسماعيل.

كان إبراهيم أمةً، وخليل الله، اصطفاه الله لهذه الخلة. والخليل من تخلل في قلبه حب الله عز وجل فلم يبق منه ذرة إلا تملكها حب الله عز وجل.

قال أحد المشايخ لتلميذ له: **"يا بنيَّ إن شغلتكَ نفسكَ فاذهبْ إليه يكفِكَ إيَّاها".**

وقال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: "يا ابْنَ آدَم! قُمْ إليَّ أمْشِ إليك، وامْشِ إليَّ أُهَرْوِلْ إليْكَ"[٦]. فابدأ بالسير إلى الله.

وكان أعرابيّ يدعو في صلاته بدعاء وحيد، يقول: **"يا ربّ اغفرْ لعبدٍ تأخرَ بالمجيءِ إليك".**

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: **"لِلتائبِ أن يستغفرَ من ذنبهِ الذي تابَ منه، ويستغفرَ من تأخيرِه التوبةَ".**

ولذلك كان أهل العلم يقولون: **"أنتَ مبتلىً بأن تبدأَ، وممتحنٌ بأن تصدقَ".**

قال يوسف بن أسباط: **"ما صدقَ عبدٌ ربهُ في الذهابِ إليهِ إلّا صنعَ له".** فحينما يصدق الإنسان بإقباله على الله عز وجل يهيأ له الطريق.

وإن أهم معنى من هذه المعاني في ذهابك إلى الله: أن تذهب إليه بقلب معظم له، لذلك من أعظم المقاصد في العشر الأواخر: هو التعظيم، أن تعظم الله ، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[البقرة: ٣٢]

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[الحج: ٣٠]

ومن أراد أن يعظم الله عز وجل فلينظر إلى أسماء الله وصفاته في كتابه.

جاء أن زوجة أنس بن الصامت جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تشتكي من زوجها الذي ظاهرها، **فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:** "الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد جاءتِ المجادِلةُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجَها، وما أسمعُ ما تقول، فأنزلَ الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾"[٧].

---

[٦] أخرجه أحمد في مسنده، صحّحه الألباني.

[٧] أخرجه ابن ماجة في سننه، وصحّحه الألباني.

ومن عظمة الله عز وجل أنه سمع شكوى امرأة، جاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، في حكمٍ فقهي وهو الظهار، فسمع الله عز وجل قولها وشكواها من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة، ونزلت سورةٌ عظيمة سميت بالمجادلة، ونزلت تعظيمًا لما حدث إن الله سميع بصير.

❖ مواطن تعظيم الله عز وجل

إن في كل مناسك الحج وشعائره من أولها إلى آخرها تعظيمٌ للعظيم؛ من لحظة الإحرام، فالتلبية، ثمَّ الطواف، وبعدها رمي الجمرات، وإن نيَّتك الذهاب إلى الله عز وجل تعظيم بحد ذاتها، وللحاج في حجه **فضيلتان** تميزه عن غيره:

الأولى تعظيم شرف المكان.

والثانية تعظيم شرف الزمان، فأنت عندما تذهب إلى مكة، البلد الحرام التي حرمها الله عز وجل يوم خلق السماوات والأرض إلى قيام الساعة، فلا يُقطَع شجرها، ولا يُنفَّر صيدُها، ولا يُنتَهك منها شيء؛ فهي الأرض التي يحبها الله عز وجل، يجب أن يكون هذا التعظيم ماثلًا وحاضرًا في قلبك، ذلك أنه لما أراد النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في الحديبية أن يعتمروا، وقفت "القصواء" ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم في طريقهم إلى مكة، فنهروها لتتحرك فما تحركت، فقالت الناس ضَعُفت "القصواء" -يعني ضَعُفت-، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ"**[٨]، يقصد ﷺ فيل أبرهة لما حبسه الله ، فلم يتحرك حتى أرسل الله عليهم الطير الأبابيل، فمكة من تلك الحادثة محفوظة بحفظ الله ، وهي أرض حرام، فإذا كانت البهائم تقدر لمكة قدرها فأنت أولى بذلك.

وقد كان السلف إذا أحرموا تغيرت أحوالهم، فكان الشافعي إذا أحرم لم يُر إلا باكيًا، فعليك أن تحفظ إحرامك من أي شيء، فلا رفث ولا جدال ولا فسوق، وعليك أن تقدّر هذه العبودية.

وكان ابن عباس ، إذا أحرم لم يتكلم فقيل له: **"ما نراكَ تتكلمُ في الحجِّ يا بنَ عباس؟ قال: هكذا يكونُ الحاجّ".**

وكان أنس بن مالك ، إذا أحرم قال عنه من صحبه: **"لم نقدرْ أن نكلِّمَه حتى يُحلَّ من شدة تقديره لإحرامِه فيُبقي على إحرامِه"**، فكانوا من تعظيمهم لهذه المناسك أنّه لا أحد يستطيع أن يكلمه طوال وقت الإحرام، إلى أن ينتهي ويتحلّل.

وأجر الإحرام عظيم؛ لمشقته على المسلمين رجالِهم ونسائِهم، **يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي حكاه المنذري، قال: "ما من مؤمنٍ يظلّ محرمًا إلّا غابت الشّمس بذنوبه"**[٩]، فالحج لم يبدأ بعد، فلم يذهب إلى عرفة ولا رمى الجمار، إلا أنه من اللحظة التي بات فيها محرمًا غُفرت جميعُ ذنوبه، ولذلك كان الحج تطهيرًا مستمرًا للذنوب، فلا يهلك على الله إلا هالك.

---

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٩] أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: "خذوا عنّي مناسكَكم"[10]، **ولذلك لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ هذه الدعوة:** "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"[11]، لم يقل أعني على أعظم عباداتك، أو أكثرها أجرًا، بل أحسنها، ولذلك الإنسان يبحث عن أحسن العبادات التي يحبها الله عز وجل منه.

وقال الله عز وجل عن مكة: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥] فإياك أن تظلم الناس، أو تظلم نفسك، في هذه العشرة بنظرة إلى حرام، أو سماعٍ منكر، وليس هذا للحاج دون سواه، بل للناس جميعًا، لأن هذه أيامٌ استثنائية؛ العمل الصالح فيها أحب إلى الله من كل الأيام.

يقول قتادة: **"إنَّ الظلمَ في الشهرِ الحرامِ أعظمُ خطيئةً ووزرًا من الظلمِ في سواها".**

❖ الصبر واحتساب الأجر

ومن تعظيم الله ، أن تستن بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في مناسكه، وأن تهتدي بهديه، وذلك بالوفود إليه مستحضرًا القلب استعدادًا لهذه الشعيرة العظيمة، ويكون ذلك بالصبر على مشقته، فمشقة الحج كمشقة السفر تحتاج جهادًا، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل؛ فمن أراد أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فعليه بالصبر؛ فتصبر على الدعاء، وعلى الحر، والرطوبة. فمن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، فتعظم الزمان والمكان بكثرة العبادة فأكثر عبادتك واجعل منى وعرفة ومزدلفة وكل تلك الطرق تشهد لك؛ بتكبيرك، بذكرك لله β، بصلاتك، بقيامك للّيل.

ولا تبخل على نفسك أجرَ أن تكون من المتصدقين، والذاكرين، والمصلين القانتين.

❖ الهدي

من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم المهجورة، أن تهدي الهدي حاجًّا، أو توصي من حجَّ بذبح أضحية في مكة، توزّع على فقراء الحرم في يوم العيد أو في يوم النحر.

فعن أنس بن مالك η، قال: عن عائشة أم المؤمنين ι، قالت: "لَقَدْ كُنْتُ أَفْتِلُ قَلَائِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَبْعَثُ هَدْيَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ"[12].

❖ التلبية والتكبير

ومن السنن المهجورة، التلبية للحاج والتكبير لغير الحاج، وهما متشابهان، فكل أحد مأمور بالعبودية، فغير الحاج مأمور بالتكبير. **قال النبي عليه الصلاة والسلام:** "فأكثروا فيهن من التكبير والتحميد والتهليل"[13]، فهذا يكبر، والحاج يلبي،

---

[10] أخرجه النّسائي في يسننه، وصحّحه الألباني.

[11] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[12] أخرجه البخاري في صحيحه.

[13] أخرجه أحمد في مسنده، وقال محقّق الكتاب: حديثٌ صحيح.

وكما للتكبير أجر فالتلبية لها أجرها أيضًا. **قال النبي عليه الصلاة والسلام:** "مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ"[١٤].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "مَا من مُسْلِمٍ يُلَبِّي إلا لَبَّى مَنْ عن يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، من حَجَرٍ أوْ شَجَرٍ أوْ مَدَرٍ، حتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ من هَا هُنا وَهَا هُنا"[١٥]. فيأتي الإنسان يوم القيامة مكبلًا بالسلاسل تجره الملائكة إلى النار لذنوب أسرف فيها على نفسه، فتشهد له الأشجار والأحجار والمدر التي مرّ بها، تقول: يا رب إنه مرّ بنا يلبي لك ويهلل ويكبّر" فالحاج الذي يقصّر بالتلبية يقصر في شيء عظيم وينقص من أجره.

❖ حفظ السمع والبصر واللسان

ويكون تعظيم الله عزّ وجل بالوفود إليه؛ إذ يتوجب عليك أن تحفظ سمعك وبصرك ولسانك. قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[البقرة : ١٩٧].

فلا تهزأ من أحد أو تغتاب إنسانًا أو تبهته.

❖ التكبير يوم عرفة

فإذا كان يوم عرفة فقد بدأت عبادةٌ أخرى؛ نعظم الله بها، وهي: التكبير بعد الصلوات، وذلك للحاج ولغيره فتقول: "أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" ثم تبدأ بالتكبير ما استطعت، وتذكر أذكار الصلاة، لكن هذا التكبير الآن هي شعيرة هذه الأيام.

ومن كفّ جوارحه عن ما حرم الله عزّ وجل أطلق الله جوارحه في طاعته؛ فعندما تمنع عينك من النظر إلى الحرام يطلق الله عزّ وجل عينك وبصيرتك فيما يرضيه ، فيحبب إليك القرآن، والعمل الصالح، ويطلق بصرك فيه، وإذا كففت سمعك عمّا حرم الله عزّ وجل أسمعك الله ما يحبه ويرضيه ﷻ.

❖ الإكثار من الأعمال الصالحة

واسأل الله عزّ وجل أن يرزقك حسن العمل، وأن يوفقك إلى عمل صالح وعبادة يتقبلها الله عزّ وجل منك، واجعل كل تلك البقاع وتلك الجبال تشهد لك، من إكثار الصلاة، وقيام الليل، وقراءة القرآن وتلاوته، والصدقة الخفية وأعمال الخير كثيرة لا حدَّ لها.

-

[١٤] أخرجه الطّبراني في معجمه الأوسط، وحسّنه الألباني.

[١٥] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

عن عائشة أم المؤمنين تقول: "كنا نعد العمل الصالح في أيام العشر بألف وبعرفة بعشرة آلاف"، واجتهدوا في ذلك فقال ابن عباس: **"العملُ فيها بسبعِ مائةٍ"** وقال أنس بن مالك: **"العملُ فيها بألفٍ"،** فكانوا يرون أن الأجر يتضاعف، ذلك أن الله جمع لك مع شرف الزمان شرف المكان، فمكة وحدها يتضاعف فيها أجر العمل.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"[١٦]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ"[١٧].

وعبادات الحج جماعية؛ فحاول أن تنفع الناس ما استطعت، بأن تأمر بمعروف وتنهى عن منكر، وتعين من تقدم بهم السن.

أذكر لكم قصة إحدى الأخوات حجَّت معنا، فلما ذهبنا نرمي الجمرات في وقت الظهيرة، حيث الحرارة في ذروتها، كانت تحمل حقيبةً مملوءةً بالماء البارد، فوصلنا إلى مكان قريب من رمي الجمرات في منطقة معدومة من كل شيء، فأخذت توزعها على عمال النظافة ورجال الشرطة، فافعلِ الخيرَ في الحج ما استطعت؛ فالحج المبرور بذل الندى وكف الأذى.

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: "مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى"[١٨]،

فعليك بالعمل الصالح في أفضل أيام الدنيا، ولو أن تسقي الماء.

والحج عبادة جماعية نختبر فيها أنفسنا، وعلى قدر اجتهادنا يكون أجرنا، فابذل جهدك إذا انتهيت من حجك أن تشهد لك مكة بكل بقاعها وجبالها بعمل صالح.

❖ المناجاة

فإذا وصلت إلى عرفة تعرف إذاً أن هذا هو اليوم الذي كنت تنتظره، فالحج عرفة؛ وهذا اليوم كفيلٌ بأن يغير حياتك كلها، وأن يعيد لك ضبط البوصلة، فهو اليوم الذي تستجاب فيه الدعوات، وتعتق فيه الرقاب، ويخرج الناس من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ"[١٩]، وقال أهل العلم: **"لم يربط النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء بالمكان"** فاجمع في هذا اليوم أمانيك، ودعواتك، وكل ما تظنه مستحيلًا، وهو ليس على الله بمستحيل؛ فأنت أصلًا تدعو رب المستحيل أن يستجيب لك دعاءك وأن يفرج لك كربك.

---

[١٦] أخرجه البخاري في صحيحه.

[١٧] أخرجه الطّبراني في معجمه الأوسط، وحسّنه الألباني.

[١٨] أخرجه الدّارمي، وحسّنه الألباني.

[١٩] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني لغيره.

إحدى الأخوات تقص قصة طالبة عندها؛ رُزقت بابنة مصابة بالتوحد، أتعبت الأم فما كان من الأم إلا أن أخذتها ليلة السابع والعشرين من رمضان إلى الكعبة؛ من أذان المغرب إلى أذان الفجر؛ وأخذت تطوف بها حول الكعبة، ثم صلّت ركعتين، وقضت تلك الليلة -ليلة السابع والعشرين- تطوف وتدعو بدعاء واحد؛ أن يشفي الله ابنتها، فلما تعبت من حملها وضعتها أرضًا؛ حتى انتهت من طوافها وعادت إليها فلم تجدها في مكانها، فاحتسبت أمرها لله واسترجعت وحمدت الله على ما قضى؛ تقول المرأة: فلما نزل الرضا في قلبي وجدت ابنتي أمامي وقد شفيت تمامًا، وحفظت القرآن كاملًا وهي الآن معلمة تحفظ القرآن.

فالله عز وجل رب المستحيل، فادخل عرفه بحاجاتك، وأخبره بكل ما يشغلك، ويخيفك، ويقلقك، وكن كالطفل الصغير الذي ينتظر قدوم العيد فيجهز نفسه لهذا اليوم؛ كما قلنا في درس كيف تدعو الله عز وجل في يوم عرفة؛ لآخرتك، لدنياك، لدينك، وادع الله لنفسك، ثم لأهلك، وأحبابك، ثم لأمتك، وتذكر أهلنا في فلسطين، والسودان، ولا تُصِمَّ أذنيك عن أنينهم، وصرخاتهم، فهم بحاجة لدعائك؛ فليس منا من لم يهتم لأمر المسلمين، فادعُ الله عز وجل أن يفرج الكرب، وأن يعجل النصر، فإذا كان يوم عرفة فادع الله أينما كنت؛ في مصلاك، أو في مسجدك، أو في بيتك، أو حجك، جاء في الحديث القدسي، أن الله عز وجل يباهي بهذا اليوم ملائكته، ويقول لهم عز وجل: **"عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرَهَا، أَوْ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُورًا لَكُمْ وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ"**[٢٠].

فهؤلاء الحجاج يغفر لهم على ذلك الصعيد، وكل من وقف مكانهم راجيًا مبتهلًا إلى الله عز وجل.

وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، يناجي الله، ويدعوه أن ينصرهم. **عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:** **"نظر نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركينَ وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشَرَ رجلًا فاستقبلَ نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلةَ ثمَّ مدَّ يديهِ وجعلَ يهتِفُ بربِّهِ اللهمَّ أنجزْ لي ما وعدتني، اللهمَّ إنكَ إن تُهلِكَ هذه العصابةَ من أهلِ الإسلامِ لا تُعبَدْ في الأرضِ، فما زالَ يهتِفُ به مادًّا يديهِ مستقبلَ القبلةِ حتَّى سقطَ رداؤُهُ عن مَنكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءَه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: "يا نبيَّ اللهِ كفاكَ مناشدتَكَ ربَّكَ فإنَّهُ سيُنجِزُ لك ما وعدك فأنزل الله تبارك وتعالى: "إذ تستغيثونَ ربكم فاستجابَ لكم أنب ممدكم بألفٍ من الملائكةِ مُردِفين" ف أمدَّهمُ اللهُ بالملائكةِ"**[٢١]. فانظر ابتهال النبي صلى الله عليه وسلم ، وطول دعائه، وشدَّةِ إلحاحه على ربه، وهو الذي غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، لكنه الرحمة المهداة والقلب الذي يحمل هم أمته.

وإذا اتجهت لربك فاذهب بحسن الظن، وقل: "إني ذاهب إلى ربي سيهدين"، وقل: **"يا ربي هذا نحن نفد إليك فيا ربي أحسن وفادتنا إليك وارجعنا بخير ما يرجع وافد لك".**

---

[٢٠] أخرجه البزّار في مسنده، وحسّنه الألباني.

[٢١] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني.

أسأل الله أن يرزقني وإياكم حجة مبرورة مقبولة، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه، ويجعلنا ممن ذهب إليه فهداه، هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها